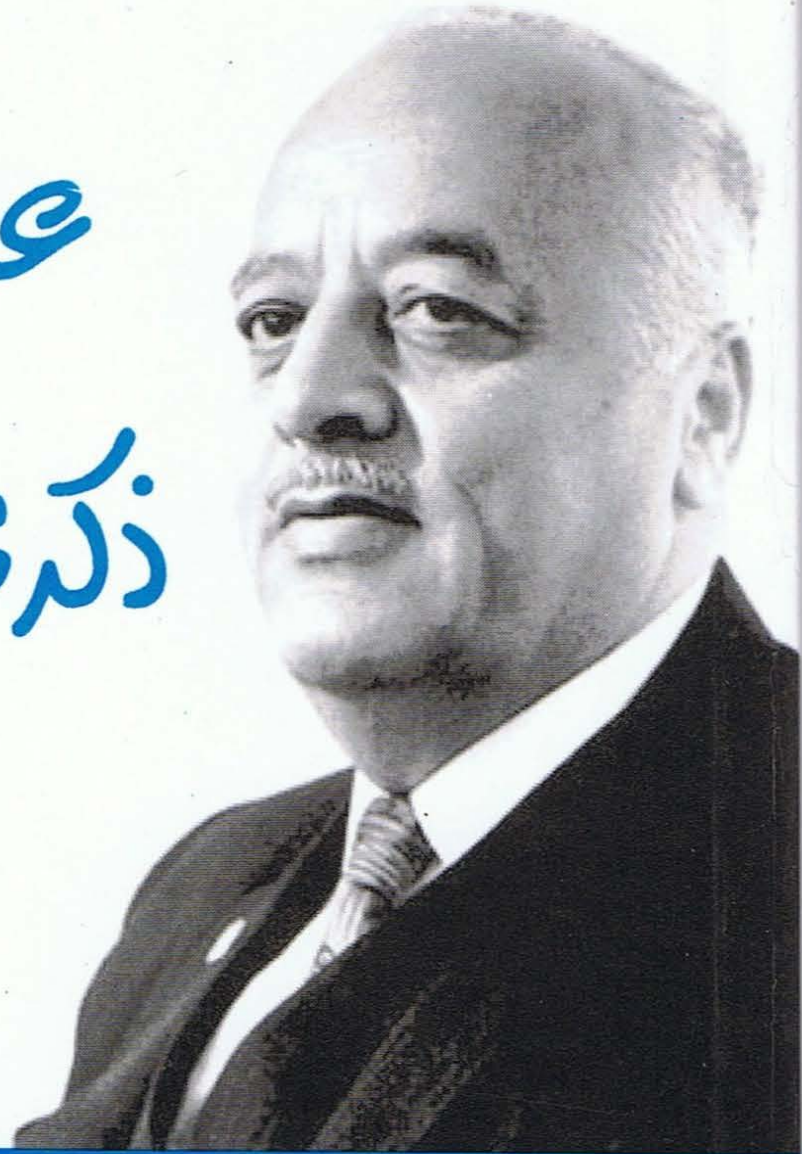


لجنة تخليد ذكرى احمد الشقيري
لجنة احياء الذكرى الـ ٢٥ لرحيل الشقيري

عمان تحيي ذكرى الشقيري



ندوة احياء الذكرى الخامسة والعشرين لرحيل

أحمد الشقيري

مؤسس منظمة التحرير الفلسطينية

التي استضافها المنتدى العربي في عمان

الثلاثاء ٢٧/٩/٢٠٠٥

تحرير

عبد العزيز السيد أحمد



عقدت في المنتدى العربي في عمان بتاريخ 2005/9/27

عبد العزيز السيد: حينما أسعدني الحظ في خريف العمر بالالتقاء بأستاذنا الأجلّ معالي الدكتور ناصر الدين الأسد وهو في عنفوان ربيعہ الثاني، كان غاية مناي أن أنهل من نمير معينه الثرّ نزرأ من أدب وعلم لغة هو ابن بجدتها ولا منازع .. لكن حظي كان مضاعفاً أني جنيت ولما أزل " قيمة مضافة" فائقة في أهميتها هي هذا الفيض من الفكر الحصيف الذي ينشر على السياسة شمائله فاذا بي أمام عملاق في الفكر السياسي، ليس العربي فحسب، بل الإنساني بعامته، وهو ما أثق أننا أمام مسحة منه هذا المساء ، إذ الحديث عن الشقيري ، فلعلقتنا في الحديث عن الرجل كلمة العارف به شخصاً والقادر له فضلاً .
انذونا لي أيها الملتقى الكريم أن نستفتح بالذي فيه خير الكلم المبين، فذلك هو الفتح المبين.
سيدي، يا بديع القول، أبا البشر، منك المبتدى، فأفض على الملتقى والمنتدى.

أحمد الشقيري الكاتب الأديب

كلمة وفاء لأحمد الشقيري في ندوته

أ.د ناصر الدين الأسد*

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبولونا أينا أحسن عملاً وهو العزيز الغفور. وبعد، فقد كان الكتاب والمتحدثون قد أطنبوا في ذكر صفات الشقيري بعد مماته، فوفوه بعض حقه. وكان أكثر حديثهم وكتاباتهم عن سرد سيرته وعن الإشادة بصفتين غلبتا على غيرهما من الصفات، هما: صفة المناضل الوطني الذي استغرق نضاله حياته كلها منذ أن وعى في سبيل قضايا أمته العربية والإسلامية وخاصة قضية فلسطين، وصفة الخطيب المفوّه الذي كانت خطاباته إحدى وسائله لنضاله الوطني، بما أوتي من قدرة متميزة على الارتجال وما وهبه الله من صوت عميق عريض يقتحم السامعين فيأخذ بمجامع أفئدتهم ويملك عليهم فكرهم وحسهم. وكانت هذه الخطابة محسوبة له حيناً ومحسوبة عليه أحياناً. وهما صفتا حق وصدق عرفتهما فيه كما عرفهما كثيرون غيري عياناً أو سماعاً. ومعرفتي كانت عن كذب حين زرت له لأول مرة في القاهرة في مطالع الخمسين من القرن الماضي، للتعرف به بعد أن سمعت عنه الكثير ممن عرفوه قبلي، وخاصة من الصديق المحب لكلينا القائد المجاهد عبد الله النل، فشدتني إليه صفة ثالثة غير المعاني الوطنية النضالية التي كانت تغلب على كلامه حتى ما كان منه كلاماً عادياً مما يقال في المجالس الخاصة والعامّة، وغير لهجته الخطابية التي كانت تميز حديثه، وإن كانت متصلة بها. تلك هي الموهبة الأدبية اللغوية الفنية التي كانت تتمثل

* هو العلامة المفكر العربي الإسلامي، عضو المجامع اللغوية والعلمية العربية، الرئيس المؤسس للجامعة الأردنية، والوزير المؤسس لوزارة التعليم العالي الأردنية.

في حديثه أوضح تمثل، وكم من خطيب ليس له من اللغة والأسلوب الأدبي نصيب، وإنما هو كلام معسول ليس له رواء يخرج من حجرة صاحبه.

ثم مضت نحو أربع سنوات لم ألقه فيها حتى قبض الله لي أن ألتحق بجامعة الدول العربية، وكانت له اليد الطولى في ذلك بفضل الله تعالى، ولهذا حديث آخر ليس هنا موضعه. وكان أحمد الشقيري حينئذ أميناً عاماً مساعداً في الجامعة، فسعى حتى أنشأ فيها إدارة خاصة باسم إدارة فلسطين سنة 1954، وترك له أن يختار موظفيها وأن يحدد إطار عملها وطبيعته وأقسامه. **فاختار حينئذ أربعة كنت أحدهم وكان الآخرون: أمين عقل ومحمد رفيق اللبابيدي وذو الكفل عبد اللطيف.** وجميعهم من رجالات فلسطين ممن كانت لهم مشاركة في العمل العربي الفلسطيني ويعرفهم بعض أهل تلك الحقبة، وخاصة الفلسطينيين.

وبدأ العمل بأن دعانا إلى الاجتماع حول نضد مستطيل في حجرة واسعة تمكنه من الحركة والسير يميناً وشمالاً وإلى الأمام وإلى الخلف وهو يتدفق في حديث يشرح لنا فيه تصوره لرسالة هذه الإدارة الجديدة وأقسام العمل فيها، ومهام كل قسم، ثم وزع هذه الأقسام علينا. وكان من نصيبي ملف قضية اللاجئين وموضوع وكالة الغوث، وكان لا يطبق الكلام العام جالساً، بل لا بد أن يتهيأ له وهو واقف، وقد أشار إلى ذلك في حديثه أمام المذيع في نيويورك، قال: " فهذا أول عهدي بالكلام جالساً، فالوقوف ينبه الفكر وقد ألفت الوقوف في المحاكم طويلاً كما ألفت على المنبر، فضاقت صدري أن أرى نفسي حبيسة، وتراءى لي أن أفكاري قد غاضت في منابعها، وأني مخفق ذلك اليوم لا محالة".

وكان حديثه المرتجل قطعاً أدبية بيانية أغرتني بأن أدون ما استطعت منه، وهو مندفع لا يكاد يتوقف إلا ليلتقط أنفاسه، مع وضوح الرؤية فيما كان يقول وتسلسل الأفكار وترابطها. ورآني وأنا أكتب فانتظر حتى انتهى الاجتماع وطلب ما كتبت. وفي اليوم التالي دعانا إلى اجتماع آخر، وبدأ بأن عبّر عن رضاه عما كتبت وطلب مني أن أسجل أيضاً كلامه في ذلك اليوم، وخرجنا بعد الاجتماعين بوثيقة عن تصورات واضحة لجانب من الجوانب الإدارية التنظيمية كنت أتمنى لو احتفظت بها. ولم ألبث في إدارة فلسطين إلا أشهراً ثم طلبت إلى الإدارة الثقافية فنقلت إليها.

ومضت سنوات، وقع بعدها بين يديّ كتاب أحمد الشقيري " من القدس إلى واشنطن " ذكر على غلافه أنه " خواطر المؤلف حين سافر إلى أميركا لتأسيس المكتب العربي سنة 1945 " طبعه في عكا على نفقته سنة 1947. وهو كتيب من القطع المتوسط صفحاته اثنتان وتسعون. وقد أقبلت على قراءته غير متحمس ظناً مني أنه من تلك الكتب التي يسجل فيها الزائرون والسائحون مشاهدات سطحية عابرة. ولكنني ما كدت أمضي فيه بضع صفحات حتى استغرقني وملك عليّ اهتمامي بما فيه من أسلوب أدبي ولغة صافية ناصعة، ورأيت امتداداً لما كان استقر في سمعي ونفسي من أسلوب الشقيري ولغته. والكتاب أول كتبه التي توالى بعد ذلك، وكان تأليفها جميعها وسيلة من وسائل نضاله القومي وأداة من أدواته. ومن أجل ما أحسست فيه من خصائص أدبية رأيت أن أجعله مدار حديثي وأن أخص أسلوبه ولغته بهذا الحديث.

وربما كان أول ما لفت انتباهي في الكتاب تلك الأسطر الأولى التي قدّمه بها، فقد تميزت بالسهولة والبساطة، والبعد عن التكلف، أرسل فيها الكلام إرسالاً هيناً مع فصاحة اللغة وجمال الصياغة، وذلك قوله : " وقد كتبت هذه الصفحات، كأني تحدثت فيها إلى ذات نفسي فجرى القلم بوحى الساعة، ولبست المعاني ما لقيت من الصيغ والألفاظ، دون ما اختيار أو انتقاء. وحين رجعت إلى الوطن، رأيت أن أنشر هذه الخواطر، على سجيبتها وطبيعتها ولعلها لا تفتن الخاصة ولا تنفع العامة، غير أن قراءتها تقتل الفراغ، وتصرف البطالة... وذلك أضعف الإيمان " .

فهذا أسلوب أديب يعطي الكلمات حقها وقدرها دون انتقاص ولا تزيّد، وكل من يتذوق جمال الكلمة والعبارة يحس جمال التعبير في قوله : " ولبست المعاني ما لقيت من الصيغ والألفاظ، دون اختيار أو انتقاء "، فكأنما المعاني كانت سائرة فلقيت في طريقها مصادفة صيغاً وألفاظاً مناسبة لها فلبستها دون قصد فجاءت على قدّها، وهذا ضرب مبتكر من التعبير بالاستعارة.

ويصف إحدى مراحل رحلته وهو في الطائرة، بقوله : "ورأيت جماعة المسافرين ينصرفون إلى كتبهم يلتهمونها، والكتب زادهم في السفر، أما أنا فرجعت إلى مذكراتي وأخذت أكتب وأكتب، لا يشغلني إلا منظر آفاق الغيوم من تحتنا، تنعقد فوق سطح الأطلنطي، أخاديد وجبالاً، ووهاداً وسهولاً، يتصل كل ذلك بأفق السماء، وتسطع الشمس فتبهو الأرض كأنها أصبحت عنها منقوشاً. وهناك يهب الرشد والتقوى بصمت وجلال، ولا يبقى غير وجه ربك ذي الجلال". ويقول في مرحلة أخرى حين أشرفت الطائرة على جزر الخالدات: " ... أخذت الطائرة تدنو من سطح الغيوم، والدنو هنا بالهبوط لا بالصعود . والقرب من هذه الغيوم التي افترشت مكانها في الآفاق يقضي بأن تهوي الطائرة قليلاً قليلاً بين أحضان الفضاء. فأخذت الطائرة تهبط رويداً رويداً، ونحن نقترّب من هذه المشاهد العجيبة تزيدها أشعة الشمس بهاء ورواء. ولقد مررنا في جيرة هذه الغيوم حتى يكاد المرء أن يدسّ يده في غلالات هذه الحياة الهائمة في الأزل، الحائمة في الأبد، كثيفة هنا شفافه هناك، ضاربة في السماء، هابطة إلى البحر، ممتدة في الآفاق منبسطة في الفضاء، بكل الأشكال التي تعرفها حركة الخطوط وانطلاقة الخيال، من غير تشابه أو اتساق، حتى يبدو أن كل غائمة قد أفلتت من يد الوجود على غير نظام أو هدف " .

ويقول في وصف الثلج والمطر : " وكان الثلج يتساقط كالعهن المنفوش يهوي من السماء في أطباق الهواء متهادياً مترنحاً، وكان الطقس بارداً جداً حتى لقد خيل إليّ أن هذا الثلج المتهادي من السماء قد صعقه البرد فنزل راجفاً مرتعشاً، يلتمس الدفء على الأرض حتى إذا ما وجد قراره، أخذ يصعد أنفاسه وجرى ماءً سلسبيلاً" .

لقد أخذت أتأمل طويلاً هذا الأسلوب الأدبي بما فيه من جمل قصيرة موسيقية، ومن فواصل وسجعات، وتقابل بين المعاني والكلمات، من طباق وجناس، ومن توليد للصور البيانية، وهو يرسل كل ذلك إرسالاً دون تعمّل، يكتب كأنه يتكلم ويتكلم كأنه يكتب، فأحسست أننا خسرنا أديباً كان يمكن أن يكون في طليعة كتّاب هذه

الأمة الناثرين لو استمرّ في هذا النمط من الكتابة وتفرّغ للفكر والثقافة والأدب، ولكننا مع ذلك كسينا مناظلاً سياسياً شريفاً عدّبه النضال وأرهقته السياسة في أمة لم تكن قد تهيأت بعد لرجل مثله.

وكان امرءاً يقظاً، شديد التنبه، مستوفز الأحاسيس، لا يصرفه شيء عن شيء، يرى الأمور كلها أو جلّها، ويحسّها ويحيط بها كأنها شيء واحد لقدرته على رسم الصور الفنية من الجزئيات. يستخدم ما آتاه الله من فن في الأسلوب وشعرية في التعبير في رسم خوالجه وتصوير خواطره. يراقب الأحداث ومظاهر الحياة ويسجلها بأسلوب كأن القارئ يعيش فيها ومعها. ولا يغفل في أثناء ذلك عن أن يبثّ مشاعره الوطنية وأفكاره التاريخية التثقيفية في تضاعيف وصفه لمشاهداته، ويظل أسلوبه هو أسلوبه الأدبي نفسه، وتظل لغته هي لغته الفصيحة الموحية. ومن ذلك قوله حين وازن بين رحلته بالطائرة والفتح العربي لأفريقيا وإسبانيا: " ولم يكن هذا الخاطر يثني عن إكبار الحملة العربية الكبرى قبل ثلاثة عشر قرناً وقد قطعت الفدافد والصحارى، والوهاد والأتجاد، ثم ضربت سهمها في أحشاء أفريقيا الشمالية، وراح هذا السهم ينحني ليخترق إسبانيا وجنوب فرنسا. وعلى أنوار هذا الخاطر تنعكس صورة جميلة، لئن عجز الخيال عن إبرازها بالروح والجسم فلا يعجز أن ينزلها بين حروف الهجاء وقوالب الألفاظ. وستظل هذه الصور لوحة فنية رائعة، يراها كل عربي بفؤاده، وإن لم تخضع لقرطاسه ومداده " .

والأمثلة على شعوره الوطني التاريخي ومقارنة الماضي بالحاضر مع جمال أسلوبه وصوره الفنية أمثلة كثيرة مبنوثة في ثنايا الكتاب، وحسبي أن أورد مثلاً آخر سجله حين قفل راجعاً بالباخرة ماراً بصخرة طارق بن زياد، فقد قال بعد أن سجل عظمة الحضارة الإسلامية في الأندلس: " ولكنني رأيت بعد ذلك هذا الفردوس العجيب، بالياً كالبلى، يحمله أهله وذووه كما يحملون الموتى، خاشعة أبصارهم، عبر المضيق إلى أفريقيا، وقد ملأوا الدنيا نحيباً ووجيباً، يلقون آخر النظرات، ويبعثون آخر الحسرات، ويرسلون آخر العبرات، صوب الأندلس، الأندلس وحدها، وهم يستمعون إلى الشاعرة، واعظة وزاجرة، منتهرة وساخرة:

ابك مثل النساء ملكاً مضاعاً

لم تحافظ عليه مثل الرجال

ورأيت بعد ذلك كله، عرباً يجوسون خلال الأندلس لا منتصرين ولا فاتحين، ولكن زائرين ومتفرجين. فيقفون عند الآثار يصعدون الأنفاس، ويكفكون العبرات. ورأيت بينهم شاعراً نصرانياً عربياً، ذكيّ الفؤاد مرهف الحس، يطوف بالمسجد في قرطبة، وها هو ذا حين يشرب بعنقه نحو منذته الفاتنة، يسمع أجراس النواقيس تبعث رنينها في الآفاق فتفيض الحسرة في نفس الشاعر يبعثها آياً من الشعر:

يا أيها المسجد العاني بقرطبة

هلا تذكرك الأجراس تأذينا

ولقد رأيت كثيراً غير هذا، وسمعت كثيراً غير هذا، وأقسم أنني رأيت وأني سمعت، ولكن بالفؤاد، وما كذب الفؤاد " .

رحم الله أحمد الشقيري وأجزل له المغفرة والثواب كفاء ما حاول أن يقدم لأمته.

* * *

عبد العزيز السيد: الشقيري نصف قرن من السياسة... والسياسة شاقة وعرة مسالكها وعشاء، دروبها الحصى والشوك والقتاد، وأجواؤها لفح السموم، ولسع البرد ورياحها هوج الزوايع والأعاصير... فاحفظ في عالم السياسة رأسك.. وللسياسة منتدياتها، وفلسطين والقضايا العربية منها نصيبها... ألف الشقيري هذه المنتديات وألفته، في الأمم المتحدة جال وصال، وفي جامعة الدول العربية فعل، فلنستمع إلى شهادة من زامله في الكثير من هذه السوح والمواقع والمعارك. معالي د. حازم نسيبة، وزير الخارجية الأردنية الأسبق.

أحمد الشقيري : بيان أمة وضمير شعب

د. حازم نسيبة*

عرفت أحمد الشقيري، أول ما عرفته، في منتصف الأربعينيات، عندما كانت القدس الموحدة عاصمة فلسطين، تمور بنشاطات وإرهاصات وحركات كنا نشعر بزخمها المتدفق، وإن لم تكن نتنبأ بمآلها أو نتائجها، في ظل حرب عالمية طاحنة تعم معظم أرجاء العالم. كان أحمد الشقيري في قمة حيويته وحماسه الوطني ونضجه وكفاءته محامياً لامعاً، منغمساً مع أقرانه من أرجاء فلسطين كافة في إقامة تنظيم سياسي محكم، يضم خيرة رجالات فلسطين وشبابها، وقد كنت بينهم، وإن كنت أصغر جيلاً منهم.. كان في مقدمتهم: موسى العلمي وفريد السعد وأنور نسيبة وأنور الخطيب ويحيى حمودة وخلوصي الخيري وسامي طه رئيس النقابات العمالية وغيرهم وغيرهم. من عكا شمالاً إلى رفح جنوباً. كان تنظيمياً يتراوح ما بين العلنية والسرية، ولو قيض له النجاح والإصرار الكافي والقيادة الجريئة، لربما كان تغير مصير فلسطين، ولأقيمت على أرضها دولة فلسطينية حقيقية مزدهرة بكامل شعبها وعاصمتها القدس وبلا لاجئين.

كان أحمد الشقيري - بالإضافة إلى نشاطه السياسي - ركنا من أركان المكاتب العربية التي تولت الإعداد العلمي الموضوعي لقضية فلسطين، وتقديم حقائقها الدامغة هي الأولى في شموليتها إلى لجنة التحقيق الأنجلو أميركية التي استمعت إلى شهادات ذوي الشأن من الجانبين، في إحدى قاعات جمعية الشبان المسيحية الـ YMCA مقابل فندق الملك داوود في القدس. كما تولت المكاتب العربية الدعوة لقضية فلسطين في عواصم العالم المهمة وكانت بمثابة سفارات لها.

* وزير الخارجية الأردنية الأسبق، و مندوب الأردن الأسبق في هيئة الأمم المتحدة.

وقعت النكبة وتفرق الصحب كل في طريق. كان لأحمد الشقيري دور بارز في النضال الموصول من أجل فلسطين بعد النكبة. كان عضواً في الوفد السوري في مفاوضات لجنة التوفيق الدولية، التي تمخضت عن بروتوكول لوزان الذي نكصت "إسرائيل" عن تنفيذه بعد توقيعها عليه. وأصبح أحمد الشقيري مساعداً للأمين العام لجامعة الدول العربية، ثم وزير دولة للشؤون الخارجية في المملكة العربية السعودية و مندوبها الدائم لدى الأمم المتحدة. لا أعتقد أنني أستطيع أن أعطي أحمد الشقيري حقه عندما أتحدث عن الدور المدوي الذي أداه أحمد الشقيري في منابر الأمم المتحدة، دفاعاً عن فلسطين وأهلها وأمتة العربية من أطلسها إلى خليجها، وقد كان العديد منها يزرح تحت أطياف مختلفة من الوصاية الأجنبية. كان موسوعة متحركة، وبلاغة متدفقة، وخطيباً مفوهاً باللغتين العربية والإنجليزية لا يشق له غبار. وعساني لا أبالغ إذا قلت بأنه كان أخطب خطباء العرب في زمانه، وكان لسان الأمة القاطع الذي يخشى بأسه أساطين المتكلمين وبينهم مندوبو "إسرائيل" المتعاقبون، وفي مقدمتهم "أبا إيبان" الشهير.

كان أحمد الشقيري يتخذ من فندق باركلي في نيويورك مسكناً له عندما زرتها عام 1962 وزيراً للخارجية الأردنية. كان مندوب الأردن الدائم يومها الدبلوماسي المجلي والشاعر الملهم عبد المنعم الرفاعي. كنا ثلاثتنا نجتمع في نهاية الأسبوع في منزل عبد المنعم في فيفت أفينيو في نيويورك، نستعرض قضية فلسطين وسائر القضايا العربية، من منطلق عربي قومي جامع لا يعرف الحدود أو السدود. علمت يومها أن أحمد الشقيري وفي دورات عديدة، كان يسهر في الفندق الذي يعيش فيه في نيويورك حتى ساعات الصباح الأولى، يكتب خطبة الجامعة عن فلسطين ومأساتها. كان إقاؤها يتم على مدى يومين متتاليين بسبب شموليتها واتساعها مطالباً بعودة اللاجئين إلى ديارهم دون قيد أو شرط، وأن يصرف ريع أملاك شعب فلسطين على اللاجئين الفلسطينيين بإدارة مندوب سام يتولى هذه المهمة، بدلاً من مساعدات الأمم المتحدة وصدقاتها الشحيحة، كان ينادي بإبء وشمم بأن ريع أملاك شعب فلسطين كفيل بإعاشته بكرامة إلى حين عودته، كما كان يطالب بتنفيذ الشرعية الدولية وفق ميثاق الأمم المتحدة ومبادئها، كنت أشعر بأن بعض المندوبين العرب من أقرانه يغارون من بلاغته وواسع إطلاعه ودأبه الموصول، وكانوا يشكون لي في غيابه من أنه يطيل ويطيل. وكان جوابي لهم : وماذا تتوقعون غير ذلك! إنه يدافع عن وطنه السليب، وليس له همّ غيره.

في عام 1963 عقد اجتماع لوزراء خارجية الدول العربية في الرياض، وكان الداعي إلى الاجتماع الأمير فيصل بن عبد العزيز (الملك فيصل رحمه الله) وكان يومها ولياً للعهد ورئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للخارجية. ترأست اجتماعات وزراء الخارجية تلك لأن الرئاسة كانت للأردن في تلك الدورة، وقد تم الاتفاق على هامش المؤتمر بيني وبين أحمد الشقيري على الاستئذان من الأمير فيصل بأن يوجه الأردن دعوة رسمية إلى أحمد الشقيري لزيارة عمان، من أجل تحريك القضية الفلسطينية. وقد وافق الأمير فيصل على ذلك، ولما عدت إلى عمان استأذنت الملك الحسين ورئيس الوزراء وصفي النثل بتوجيه الدعوة إلى أحمد الشقيري لنتداول معاً قضية فلسطين وأوجه تحريكها، وهكذا كان.

جاء أحمد الشقيري إلى عمان وكان صديقاً لوصفي التل أيضاً بحكم عملهما معاً في المكاتب العربية في القدس، في أواخر الأربعينيات من القرن الماضي. كانت الاجتماعات تعقد في منزلي بجبل عمان مقابل السفارة الفرنسية، وقد تم خلال تلك الاجتماعات بلورة قيام منظمة التحرير الفلسطينية، بعد مناقشات معمقة حول كل نقطة من النقاط بسبب حساسيتها، ونقادياً لحدوث تناقضات قد تنقلب إلى خلافات في التحديد بين ما هو فلسطيني وما هو أردني في إطار المملكة الأردنية الهاشمية التي كانت تشمل القدس وسائر الضفة الغربية. ورغم ما حدث من تناقضات وخلافات لاحقة، فإنني أشهد شهادة حق وصدق لأحمد الشقيري، بأنه كان حريصاً كل الحرص، على الوحدة الوطنية الأردنية وعدم المساس بثوابتها، مع الإبراز الكامل للشخصية الفلسطينية من أجل التحرير.

كان مرناً، سلساً، يأخذ ويعطي بروح إيجابية، وكثيراً ما كان يقول لنا في الاجتماع : أكتبوا النص كما ترون وأنا موافق سلفاً لأن المصلحة واحدة والهدف واحد.

كانت نتائج محادثاتنا ترفع أولاً بأول إلى الملك الحسين، الذي كان يبدي تفهماً عميقاً لها، ويوافق عليها مع بعض التعديلات التي يراها ضرورية وقد تمخض الأمر في النهاية عن عقد المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول في فندق الأنتركوننتنتال على جبل الزيتون المشرف على القدس الشريف عام 1964، حيث أعلن رسمياً قيام منظمة التحرير الفلسطينية وإقرار ميثاقها الوطني، بحضور الملك الحسين وباشتراك ممثلي الضفة الغربية في مجلس النواب الأردني.

ثم جاءت الأحداث التي انتهت إلى اندلاع حرب حزيران 1967. وإن أنس فلن أنسى ما كان يساور أحمد الشقيري من قلق ووجل على مصير القدس والضفة الغربية. ومع ذلك، واستجابة لدعوة الجماهير، فقد ألقى خطبة حماسية في المسجد الأقصى المبارك يوم الجمعة قبل يومين من عدوان الخامس من حزيران، حمله المصلون بعدها على أكتافهم، مرددين الشعارات الوطنية بتحرير فلسطين. لم يكن الناس، حتى أشدهم تشاؤماً، يتوقعون أن تنتهي الأمور إلى ما انتهت إليه.

سقطت القدس والضفة الغربية في أيدي الأعداء، وأصبحت في أوائل عام 1969 سفيراً للأردن لدى جمهورية مصر العربية في عهد جمال عبد الناصر، حيث الاستعدادات لإزالة آثار العدوان.

كنت ألتقي أحمد الشقيري وقد تنحى عن رئاسة منظمة التحرير وانكب على كتابة مذكراته الجامعة حول القضية الفلسطينية، وهموم الأمة العربية وخلافاتها. كان يمارس رياضة المشي مرتين يومياً في نادي الجزيرة بالقاهرة، وكان يسكن في عمارة لوبون، وهي العمارة التي سكنت فيها وعائلتي بعد انتهاء مهمتي كسفير في القاهرة، كانت جلساته ممتعة وزاخرة ومليئة بالعبر والتأسي على ما فات . كان يحمل هم فلسطين بكل جوارحه، ولم يكن له همّ سواها. كان شديد الاعتزاز بنفسه مع تواضع جمّ، ولم يكن يسمح لأحد بالنيل من كرامته، وبالأخص إذا كان الأمر يتعلق بصفته رئيساً لمنظمة تحرير فلسطين. كان يحاور الملوك والرؤساء كتقياً بكتف وببلاغته المعهودة وجراته وصراحته في الحق، دون أي اعتبار سوى مصلحة فلسطين وأهلها كما

يراهما. كان يهيمن على مناقشات القمة ببلاغته وقوة حجته وألوية قضيته. وكان معظم الرؤساء يتخرجون من مجاراته في المناقشات، وقد ولد ذلك عند بعضهم مشاعر غير ودية تجاهه.

وأذكر واقعة حدثت عندما عقد مؤتمر القمة العربية الثالث في الدار البيضاء عام 1965، وهي واقعة ثانوية وإن كانت ذات مغزى. وزعت السيارات الفارهة لتنقلات رؤساء الدول والوفود وكان نصيب أحمد الشقيري رئيس فلسطين سيارة ستروين، وهي صغيرة الحجم نسبياً، مع أن رؤساء فرنسا بمن فيهم الجنرال دي جول يستخدمونها كسيارة فرنسا الأولى.

أحمد الشقيري اعتبر تخصيص هذه السيارة صغيرة الحجم التي يرفع عليها علم فلسطين تقيلاً من شأن فلسطين ممثلة برئيس منظماتها، وقد سوي الأمر بما أرضى جميع الفرقاء.

كان رجلاً يتقد ذكاء وفطنة ودراية، يتواضع مع الصغير قبل الكبير، وذا مجلس سدته العلم والمعرفة واللغة والحكمة. لم يكن من أولئك الذين يتمسكون بالسلطة عن طريق الأجهزة القمعية أو المخابراتية، وإنما كان يعتمد الحوار والإقناع ويفترض حسن النية إلى أن يدهمه العكس.

أثابه الله على ما أدى من خدمات جليلة لشعبه وأمته، وستظل ذكراه العطرة مرتبطة بفلسطين إلى يوم خلاصها.



عبد العزيز السيد: المفكر العربي والعروبي، القابض على جمر الحق الذي يراه، والمؤرخ الصادق الأمين في زمن غدا فيه التأريخ، كما في كل عصور الضلال والضياع، زبداً وغناء أحوى..
الأستاذ الدكتور علي محافظة، يا منصف الموتى من الأحياء، هات قولة المؤرخ العربي، صوت تاريخ أمته شعاع ضوء يهدي أجيال غدا .. هاتها في الشقيري الراحل الحي بعد ربع قرن على الرحيل.

الشقيري.. في ذكراه الخامسة والعشرين

الأستاذ الدكتور علي محافظة*

أيها الحفل الكريم ،

يذكر الإنسان بعد رحيله عن هذه الدنيا بأفعاله وأقواله، فإذا كان شخصية عامة تناولته أقلام الكتاب والأدباء تمجيحاً وتعظيماً أو نقداً وتجريحاً. وكلما طال زمن رحيله وتلاشى نفوذه ونفوذ أهله وعصبته، كانت نظرة الباحث المنصف إلى أفعاله وأخطائه أقرب إلى الحيطة والموضوعية.
أيها الأخوات والإخوة،

* مفكر ومؤرخ عربي أردني. رئيس جامعة جدارا الأردنية للدراسات العليا حالياً.

أحمد الشقيري، مؤسس منظمة التحرير الفلسطينية، يستحق أن يحتفى به بعد انتقاله إلى دار الآخرة بسنين، وأن يدرس وتحلل شخصيته وتجربته السياسية تحليلاً علمياً دقيقاً، بعد أن أصبح يمثل مرحلة حاسمة من تاريخ القضية الفلسطينية. وأعتقد أن الشقيري لم ينل بعد حقه من اهتمام الباحثين والمؤرخين وعنايتهم، مثلما أنه قلما نال من الحفاوة التي يستحقها بعد مماته.

أحمد الشقيري رجل عصامي مثقف ووطني مخلص ومؤمن بقضية شعبه. ظهر على المسرح السياسي العربي في وقت تبللت فيه الأحوال وضعفت الآمال، وتأكد لكثيرين من الفلسطينيين وإخوانهم العرب أن الليل قد طال، وأن ما يتوقون إليه من تحرير فلسطين بعيد المنال. واستوى عند بعضهم المستحيل والممكن، واختلطت الحقيقة بالخيال. واستخف كثيرون بالمهمة التي كلف بها الشقيري وتوقعوا له الفشل.

غير أنه استطاع بقدراته الذاتية وبخبرته الطويلة في الحياة الدبلوماسية وفي أروقة الأمم المتحدة والجامعة العربية، أن يبعث الأمل في نفوس عرب فلسطين أينما كانوا، وأن يبقي قضيتهم حية في نفوسهم. ونجح في إبراز الكيان الوطني الفلسطيني على الصعيدين العربي والدولي.

كان سلاح أحمد الشقيري عقله ولسانه وما يتمتع به من ذكاء وبصيرة، لا تخفى عليه أحوال الفلسطينيين في الضفة والقطاع وفي ديار المهجر، يعرف التيارات السياسية بينهم وعصبياتهم العشائرية وولاءاتهم الأسرية وانتماءاتهم الجهوية وقياداتهم الثقافية والفكرية، ولذا سهل عليه كسب ثقتهم واختيار المجلس الوطني الفلسطيني واللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية من بين صفوفهم. ونجح فيما أخفق غيره فيه وهو جمع المفكرين والمثقفين الفلسطينيين حوله، ودفعهم إلى العمل من أجل قضية بلادهم في ميادين اختصاصهم وفي ميادين أخرى أظهروا فيها قدرة وتفوقاً.

وأسس جيش التحرير الوطني الفلسطيني ليكون رديفاً للجيش العربية في معاركها مع العدو الصهيوني، انطلاقاً من اقتناعه أن ليس بوسع الفلسطينيين وحدهم تحقيق ما يطمحون إليه من تحرير وطنهم من الاحتلال الصهيوني، وأن هذه هي مهمة الأمة العربية كلها، التي تهدد "إسرائيل" وجودها وكياناتها السياسية وتتميتها الاقتصادية والاجتماعية وتقدمها العلمي والتكنولوجي وأمنها على الدوام.

أيها الحضور الكرام،

ظهر الشقيري في مرحلة الحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالي الغربي والاشتراكي الشرقي التي ألفت بآثارها على الوطن العربي فانقسم بدوره إلى معسكرين: معسكر الدول المتحررة أو التقدمية ومعسكر الدول المحافظة أو الرجعية. وكان عليه أن يشق طريقه المليء بالعقبات والمصاعب لتحقيق ما يصبو إليه، فتعرض للنقد والذم والشتيمة من هذا المعسكر أو ذاك. ولكنه لم يبال، وهو الخطيب البليغ الذي يتقن مختلف صنوف الأسلحة الإعلامية السائدة في عصره.

كان على الساحة العربية قادة بارزون ملأوا الدنيا بحضورهم أمثال: جمال عبد الناصر، فيصل آل سعود والحسين بن طلال والحسن الثاني والحبيب بورقيبة.

وكان الشقيري نداً لهم بل إنه يتفوق عليهم جميعاً بثقافته الواسعة وخبرته الدبلوماسية ومعرفته بتفاصيل القضية الفلسطينية. وكثيراً ما أثار غيظ بعضهم وضيق بعضهم الآخر به.

ولما كانت الخلافات الشخصية بين هؤلاء القادة العرب والصراع الأيديولوجي بينهم، وعلاقتهم بالدول الكبرى تلقي بثقلها على القضية الفلسطينية وعلى منظمة التحرير الفلسطينية أدركنا صعوبة المواقف التي كان يواجهها الشقيري وكيفية التغلب عليها.

ألى أحمد الشقيري على نفسه أن لا يكون زعيماً لميليشيا أو لفصيل عسكري معين. وكان لفلسطين كلها وللفلسطينيين جميعاً. لم يُبدِ انحيازاً لمدينة أو أسرة أو جهة أو عصابة من الناس. ونحن العرب حكاماً وأفراداً عاديين لا نتعلم من تجارب من سبقونا ولا نأخذ عبرة من الماضي القريب أو البعيد. ولذلك نبقى على ما نحن فيه من أمراض وعيوب.

أدعو الله أن يشمل أحمد الشقيري برحمته. والسلام عليكم.

* * *

عبد العزيز السيد: أستاذ العلوم السياسية منذ ثلاثة عقود، لعله كان فيها الأقدر بيننا، نحن الذين تقاذفتنا أنواع السياسة الهوج ذات اليمين وذات الشمال، على أن يجوز مسالكها، كما يعبرها، بالهدوء والابتسام والأمل.. طبعاً وبالسلامة أو شبه السلامة دائماً.

تابع د. أسعد عبد الرحمن درب الشقيري في المحطات الأغنى: تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية، تأسيس مركز الأبحاث الفلسطيني الذي عمل فيه، ولعله أسهم في توجيه بوصلة فكره وتفكيره من بعد لاءات الخرطوم، رؤاه فيما بعد حرب رمضان / تشرين / أكتوبر... وفي ذلك كتب أسعد عن الشقيري ما رأى، وبعد رحيله عنه كتب، فماذا بقي مما كتب؟ وأين هو الشقيري اليوم مما قال الشقيري بالأمس وفعل؟، ومما قال فيه أسعد عبد الرحمن وكتب؟ أخي أسعد هات، وتفضل.

في الذكرى الـ 25 لوفاة الأستاذ أحمد الشقيري

د. أسعد عبد الرحمن*

أحرام على " بلابله الدوح "؟!، أحرام على أحمد الشقيري أن يصدح بمزامير " لاءاته "؟! أحلال " على الطير من كل جنس " مثل شارون ونتتياهو أن يتناول علينا بنشاز " لاءاته "؟! بهذا التلخيص يتجسد، راهناً، التراجع والهوان في واقع العالمين العربي والإسلامي، وواقع الجموح والخطرسة في واقع العالمين

* أستاذ جامعي أكاديمي، مدير عام مؤسسة عبد الحميد شومان سابقاً، عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية.

الصهيوني والإمبريالي. وفي كل ذلك، يبقى الكبير أحمد الشقيري الحائط الفكري والسياسي الكبير الذي نستند إليه، فيحمي ظهورنا إذ نصمد ونقاوم الهجمة الشرسة غير المقدسة التي تستهدف حقوقنا. في ذكراه الخامسة والعشرين، أقول ما قلته، واسترجع ما استرجعته، في مناسبات عديدة. وها أنذا أقتطف من شجرة الذكريات:

فعلى الصعيد الشخصي البحث، وفي تفاعلي معه لأول مرة، كان جموح الشباب عندي والحديث عن القضايا العامة أشبه ما يكون بالطوفان، ويومها كان طموح الشاب والحديث أيضاً عن القضايا العامة يصل إلى قبة السماء، وكان طبيعياً يومها أن يكون لسان الانتقاد عندنا في القضايا العامة على أطول ما يكون. يومها أذكر أنهم حين سجلوا معي حديثاً بصفتي رئيساً لفرع الاتحاد العام لطلبة فلسطين في لبنان في إذاعة (صوت فلسطين) في القاهرة وأذاعوه، لاحظت كم أنني حاولت التذكري بتوجيه نقد بين السطور استهدف الأداء السياسي الذي كان يمارسه المرحوم الشقيري، وكنت يومها، وليغفر الله لي، أقصد (الإساءة المؤدبة) لهجه بل وربما له شخصياً، حيث اعتبرته وحده (وليس الإمبريالية ولا الصهيونية ولا معظم النظم العربية.. وغير ذلك كثير) مسؤولاً عن واقع فلسطيني لم أكن راضياً عنه.

يومها توقعت من المرحوم الشقيري أن يغضب، وتوقعت منه فور سماعه لحديثي المبادرة إلى فصلي من عملي في (مركز الأبحاث) الذي كنت قد بدأت العمل فيه وأنا ما زلت طالب ماجستير في الجامعة الأميركية في بيروت، وفعلاً جاء رد فعله سريعاً.

يومها أرسل لي الأستاذ الشقيري رحمة الله عليه ورضوانه، مع مدير عام مركز الأبحاث في حينه، ما شكّل بداية صداقة شخصية معه امتدت سنوات غالية وتخللتها لقاءات غنية، يومها وعلى عكس توقعاتي أرسل لي رسالة تقدير على "جرأتي" وعلى ما أسماه "قوة وعيي السياسي" و "تمكني من اللغة"، وشجعتني على مزيد من الانتقاد، ثم الانتقاد ثم الانتقاد!! فأين نحن اليوم مع قادتنا وكيف يتعاملون مع انتقاداتنا؟! كم كان رحمه الله كبيراً، وكم كنت وغيري صغاراً!؟

وعلى الصعيد العام، لقد سلك الفقيد الكبير طريقه بين حبات المطر، ولم يبتل! صحيح أن المرحوم الشقيري قد لحقه ولا يزال بعض رذاذ البعض الشاذ النابح ضده، لكنه سعد مثل النجم، وهبط مثل الشهاب، ومضى بكبرياء رفيع حاملاً معه إنجازات كبرى! أما نحن أبناء الفصائل الفدائية الذين ظلمناه لفترة أو هاجمناه لاعتبارات جوهرها الصراع والطموح السياسي طوال مدة اعتقاله صهوة حصان منظمة التحرير، فقد رجعنا إلى الحقيقة عندما عدنا فكرمانه لحظة رحيله. يومها، ولنتذكر جميعاً، أنه ما من فصيل أو قوة سياسية فلسطينية (ناهيكم عن غير هؤلاء من باقي العرب والأجانب) إلا وأصدر بياناً يليب بالرجل وإنجازاته. وها قد مضى خمسة وعشرون عاماً على وفاته، وما توقفنا عن تذكره واستعادة موقعه البارز الحصين في (السجل الذهبي) للشعب الفلسطيني، بل وفي (السجل الذهبي) العربي.

واليوم في الذكرى الخامسة والعشرين لرحيل الفقيد الكبير الشقيري، وبعد هذه التجربة المريرة مع جميع الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، وبالذات مع الحاكم الجديد في "إسرائيل" وإصراره على لاءات كبرى

يصغفوننا بها يومياً، لا نملك إلا أن نلحظ تزايد المتسائلين عن جدوى تنازلنا عن اللاءات الثلاث الشقيرية (لا صلح، ولا اعتراف، ولا مفاوضات) التي تشكل أقل من نصف عدد اللاءات الشارونية، ناهيك عن لاءات أكثر لدى اليمين الصهيوني الأكثر تطرفاً. وإذ نذكر هذه الخلاصة الأخيرة وننسب اللاءات للمرحوم الشقيري، ولا نقول (لاءات الخرطوم) لأنها كانت تعبر فيما أكدته الحقائق والوقائع عن موقف الشقيري الشخصي وعن صياغاته الشخصية. تلك اللاءات الثلاث التي لولاها -ضمن عوامل أخرى مهمة ورجال مهمين تصدرهم (الريس) جمال عبد الناصر- لما كان الصمود العربي بعد هزيمة حزيران 1967، ولا الانطلاقة الثانية لحركة فتح 1968، ولا كانت حرب أكتوبر المجيدة 1973، ولا صمود المقاومة اللبنانية / الفلسطينية سواء يوم غزت "إسرائيل" لبنان مراراً أو في معارك حصار بيروت 1983، ولا كانت الانتفاضة الفلسطينية الأولى والانتفاضة الثانية، ولا مختلف أنواع المقاومات المستمرة في جميع الأراضي العربية المحتلة، ولا اعتراف "إسرائيل" بالمنظمة والشعب الفلسطيني، ولا الانسحاب المخادع من قطاع غزة!

وختاماً، لعل أفضل إحياء لذكرى فقيدنا الشقيري، هو أن نتمسك باللاءات التي قال بها طالما أن حكومات "إسرائيل" لا تزال (تصدح) بلاءات ننتياهو وعوزي لاندوا وشارون!! بل نزيد على تلك اللاءات وضوحاً وتفصيلاً فنقول بعبارات الخطاب السياسي المعاصر جملة حقائق، بالأصالة عن أنفسنا وبالنيابة عن أمتنا العربية والإسلامية.

أيها الحفل الوفي،

من عادة شعوب كثيرة ومن ضمنها العرب أن تقتصر السنة ذاكرتهم على ذكر محاسن موتاهم، غير أن أمانة الموقف التاريخي وجلال الذكرى التاريخية يقتضيان الصدق المطلق. وفي هذا السياق، ولأنه ما من إنسان كامل، ما نحن نتذكره ونتذكر مسيرته بسلبيتين، ونقدره كل التقدير بإيجابيتين:

• فقد كان رحمه الله معتزلاً برأيه وبرجاجة عقله وبسداد موقفه إلى درجة أصبح معها ينزع إلى الفردية وإلى الوقوع في شباكها.

ومع ذلك، نحن اليوم -وبعد معاينتنا لفرديات متطاوله على كل شيء- نترحم على فردية الشقيري مثلما نترحم عليه.

• وكان رحمه الله متمكناً من لغته العربية ومستشعراً قدرته البلاغية إلى درجة أصبح ينزع معها إلى اللفظية وإلى تقييد يديه بحبالها. ومع ذلك، ما نحن اليوم إذ نقر بثقافته الواسعة نترحم على لفظيته بعد أن انسلخت جلودنا باللفظيات الفارغة المفتقدة إلى أي ثقافة حقيقية!

غير أن قيمة أحمد الشقيري العامة كانت دوماً أكبر من سلبياته وثوراته الشخصية، وفي هذا الصدد، لا بد لنا من أن ننسجم مع التاريخ عندما يسجل حقيقة أن الشقيري:

1. أسس الإطار المعاصر للهوية الوطنية الفلسطينية يوم أقام منظمة التحرير الفلسطينية (ميثاقاً قومياً، ومجلساً تشريعياً، وقيادة تنفيذية، وجيشاً نامياً). ولا يعرف قيمة هذا الإنجاز الكبير سوى من عانى نتائج تغييب الشعب الفلسطيني تمهيداً لتغييب قضيته. ولا يدرك هذا الإنجاز الكبير سوى من

عرف صعوبة السباحة عكس التيار. وعلى الرغم من قوة التيار الرسمي العربي المعادي لتأسيس (الوطن المعنوي) و(الوطن التنظيمي) للشعب الفلسطيني، نجح الشقيري بجرأة مشهودة، وبحصافة معروفة، وبنكتيك محسوب، وبقدرة خطابية متميزة عبأت الشعب والأمة نجح يومئذ في تكسير أمواج التيار المعاكس.

2. تمسك بضمير الموقف السياسي الشعبي الفلسطيني بل والعربي، فبرغم الدعاوى (الواقعية والاستسلامية) التي بدأت تطفو على سطح الواقع العربي في بداية ومنتصف الستينيات، وضع الشقيري (الميثاق القومي الفلسطيني) وحماه بقوة صحبه من القوى الوطنية والقومية والتقدمية العربية. وبالرغم من الهزيمة الكبرى في حرب 1967، صاغ الشقيري (لاءات الخرطوم) التي أرست الأرضية السياسية والفكرية للمجاهبات العربية الصهيونية التالية... والقادمة.

إن من يرفض دولتنا نرفض دولته، ومن يرفض عاصمتنا نرفض عاصمته، ومن يريد تعطيشنا نجفف له حلقه، ومن يزرع سرطان المستوطنات في خاصرتنا نزرعه في أحشائه، ومن يرفض الشرعية الدولية ترفضه الأسرة الدولية وقبلها العربية والإسلامية، ومن يسلبنا (حق العودة) وفق قرار (الحل الوسط) 194 إنما يسلب الأمان والأمن من نفسه، ومن يحاول تبليغنا (التسوية المفروضة) بدلاً من المصالحة التاريخية (والسلام الشامل) ... نقول له : أي تسوية مفروضة هي تسوية مرفوضة ذاتياً، مثلما هي مرفوضة موضوعياً، إذ لا تسوية عادلة ودائمة في ظل الظلم الدائم الذي تعرضت له أمتنا العربية، وشعبنا الفلسطيني بشكل خاص، وجماهير اللاجئين بشكل أخص. رحم الله الشقيري وأسكنه فسيح جناته مثلما أسكنه أبناء الشعب والأمة فسيح قلوبهم.

* * *

عبد العزيز السيد: تقدم أيها الشاب واطرد أباك من الميدان.
هذه صرخة الشقيري ذات عام من شبابه، يوم رأى همم الآباء لن تصل بالبلاد إلى رشاد الحق والحفاظ على الوطن.

بعدها بعقدين وجد الرجل نفسه أمام التحدي .. أن يؤسس لقيادة شعبه ويقوده في مسيرة التحرير...
فماذا يفعل، وعلى أي جيل يتكئ...

ما تردد.. زواج بين الأجيال، وفي جرأة نادرة، تكاد تكون غير مسبوقه، جاء بكوكبة من الشباب ، ليكونوا من أركان المنظمة في عز التكوين يشدُّ بهم أزره ويشركهم في أمره...

أحمد السعدي كان واحداً من هؤلاء الشباب الذين اختارهم الشقيري شركاء أصلاء في قيادة المنظمة... لكي تتصافر حكمة الأيام بالرؤى والأحلام، فكيف تعامل الشقيري مع الإخوة الأبناء؟
أخي أبا فريد : أسمعنا ما لديك...

كلمة وفاء للشقيري في ذكرى رحيله الخامسة والعشرين

أ. أحمد السعدي*

كنت على اتصال دائم بالمرحوم أحمد الشقيري وشاركت في بعض نشاطات المنظمة خلال الفترة 1964 - 1968، الفترة التي قاد الشقيري فيها المنظمة بعد تأسيسها، وهذه الفترة هي مرحلة الأحداث الجسيمة والتغيرات الكبرى في مسيرة القضية الفلسطينية. ففي عام 1964 كلف المرحوم الشقيري من مؤتمر القمة العربية الأول باستطلاع آراء الفلسطينيين لتأسيس كيان فلسطيني. والفلسطينيون يتوزعون في دول عربية عديدة لها مواقف متباينة و متعارضة من مسألة الكيان الفلسطيني، وكان هنالك أكثر من عشر تنظيمات فلسطينية تنشط بشكل أو آخر، ولكل رؤاها وعلاقاتها، وكان الكثير من الشباب الفلسطيني منخرطاً في أحزاب عربية وقومية وإسلامية ويسارية، بل كان لهم دور ريادي في هذه الأحزاب التي كانت تعد القضية الفلسطينية أحد محاور نشاطاتها بل وجودها، ولها رؤاها المختلفة كذلك من الكيان الفلسطيني. والدول العربية حينذاك تعد فلسطين مسؤوليتها.

في خضم هذه الظروف وخلال خمسة شهور، وبعد عشرات اللقاءات مع المسؤولين في الدول العربية ومع ممثلي الأحزاب العربية والمنظمات الفلسطينية واللقاءات الجماهيرية، وكذلك التشاور مع عشرات الشخصيات الفلسطينية استطاع الشقيري إنجاز التالي:

- 1- صياغة مسودة الميثاق القومي الفلسطيني والنظام الأساسي.
- 2- عقد المجلس الوطني الفلسطيني واعتماد الميثاق والنظام وإعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية، وتشكيل اللجنة التنفيذية للمنظمة.
- 3- وبعد شهور قليلة أنشأ الصندوق القومي الفلسطيني ومركز الأبحاث الفلسطيني وشكل جيش التحرير الفلسطيني.

وهكذا بدأ الشقيري أعماله بإنشاء مؤسسات، وهذه إنجازات تحتاج عادة إلى سنوات ولكنه بديناميكيته وقدراته وخبراته الطويلة أنجزها في شهور كسباً للوقت وتحسباً للمتغيرات العربية الرسمية. كان الشقيري في مواقفه وبياناته معبراً عن الرأي العام الفلسطيني بشكل خاص، والعربي بشكل عام بأوضح بيان حول قضية فلسطين كما كانت واقعياً، كقضية فلسطينية وقضية قومية وكمسؤولية فلسطينية ومسؤولية عربية. وتنضح أبعاد هذه الرؤى في الميثاق القومي الذي تبناه المجلس الوطني الفلسطيني للمنظمة.

* عضو اللجنة التنفيذية الثالثة لمنظمة التحرير الفلسطينية عام 1966، خبير ومستشار اقتصادي وصناعي.

كان الشقيري يرى في الكيان الفلسطيني طليعة للجهد العربي وللحشد العربي في سبيل تحرير فلسطين من الدولة الصهيونية المغتصبة التي يهدد وجودها الأمة العربية، وهكذا كان الكيان له دور وليس بديلاً لمسؤولية الدول العربية عن تحرير فلسطين ومواجهة الخطر الصهيوني المحقق بالأمة العربية.

وهذه الرؤية للشقيري تعبير واضح عن الجماهير العربية والفلسطينية، التي كانت الدول العربية تتوافق معها على الأقل في إعلامها، وهذا أمر حيوي وهام.

في تلك الفترة برزت إلى جانب هذه الرؤية رؤى فلسطينية وغير فلسطينية تبحث عن كيان فلسطيني يتحمل مسؤولية قضيته، وعبر عن ذلك على المستوى الفلسطيني حركة (فتح) بقيادة ياسر عرفات، كما عبر عنها على المستوى العربي الحبيب بورقيبة الرئيس السابق للجمهورية التونسية، وذلك في زيارة للأردن عام 1965، حيث طالب الدول العربية برفع يدها عن القضية الفلسطينية، ما يعني عملياً تحميل الفلسطينيين عبئاً يستنزف قواهم ويبرر تنازلاتهم. وبالتالي تبرأ الدول العربية من تنازلات تقوم بها نيابة عنها قيادات فلسطينية .

كان الشقيري يحاول بصعوبة المزوجة بين العمل السياسي الإعلامي والعمل العسكري الفدائي، الذي أعلنته حركة فتح ومارسته العديد من المنظمات حينذاك بمستويات متواضعة وبصعوبات بالغة، وبإيجاز أسجل النقاط التالية:

1- كان الشقيري بحكم خبرته وعمره أقرب إلى الشخصيات الفلسطينية المعروفة في الأربعينيات بنشاطها الوطني يستمع لها بعناية ويدنيها إلى جانبه، ويرى في المتغيرات من حوله الجيل الجديد الذي يريد أن يكون ذراعه وساعده الأيمن سواء في العمل الفدائي أو النشاطات الجماهيرية.

2- كان الشقيري يرى للفلسطينيين دوراً ورأياً أساسياً في قضيتهم، ولكن المسؤولية الكبرى والأولى هي للدول العربية بحكم طبيعة القضية الفلسطينية كقضية قومية نشأة ومصيراً، والفلسطينيون يشكلون حارساً يقظاً على ما يجري للقضية الفلسطينية عربياً ودولياً. ومؤلفاته الداعية للوحدة ومذكراته ومواقفه توضح رؤيته بتلازم التحرر مع الوحدة العربية، فكان حين يجري الحديث عن وحدة بين مصر وسورية أو مصر وسورية والعراق يطالب أن تنضم فلسطين لهذه الوحدة.

3- كان يريد التوفيق بين مواقف دول عربية تؤيد العمل الفدائي حينذاك وأخرى تتحفظ عليه كعمل توريطي لا يتناسب ورؤى القيادة العربية الموحدة (العسكرية) التي أنشأها مؤتمر القمة، وحاول الشقيري التعامل مع تلك الظاهرة ليس بمجابتهها، بل لتبني المنظمة ودعم عمل فدائي يتوازي مع ما تقوم به (فتح) بدعم منظمة أبطال العودة التي كان محورها حركة القوميين العرب، وجبهة التحرير الوطني الفلسطيني (ج.ت.ف) وكان الشقيري يوازن في الوقت نفسه بين رؤى المنظمات الفلسطينية المنضمة للمنظمة ورؤى الشخصيات الوطنية الفلسطينية بجانبه، التي كانت ترى أن هذه المنظمات تتجاوزها، وكان لهذه الشخصيات تأثير أكبر على مواقف الشقيري انتهى باستقالة اللجنة التنفيذية التي لم يمض على تشكيلها سوى بضعة شهور، وخروج ممثلي المنظمات منها أو

المتحالفين معها، ما أدى إلى خروج كاتب هذه الكلمة والصدّيقين المرحوم شفيق الحوت والمرحوم د. أحمد صدقي الدجاني من اللجنة التنفيذية وأعاد تشكيلها دونهم.

وقبل نضوج تجربة الشقيري في قيادة المنظمة والانطلاق بها للقيام بدورها، جاءت حرب حزيران 1967 ونتائجها المأساوية الكارثية لتوقف تلك المحاولات وتغير اتجاهاتها، التي انتهت بسيطرة حركة فتح على المنظمة وقيادتها برئاسة ياسر عرفات حتى وفاته، وهي حركة كيانية أكثر منها حركة تحرير .

الشقيري وهزيمة عام 1967

في أجواء هزيمة عام 1967 انعقد مؤتمر القمة العربية في الخرطوم في 30 آب 1967، وجرت فيه المصالحات بين الدول العربية، فجرى التفاوضي أو التجاوز عن مواقف سبقت الحرب، وجرت المصالحة بين حكومتي السعودية والجمهورية العربية المتحدة، وفي هذه الأجواء ظل الشقيري متمسكاً بمواقفه التي عبر عنها الميثاق القومي للمنظمة، وقدم مذكرته للمؤتمر يحذر فيها من إقامة حكم ذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة وإنشاء جمهورية فلسطينية فيها ترتبط بحسن الجوار مع "إسرائيل"! وأشارت المذكرة على التأكيد بأن لا تنفرد أية دولة عربية في قبول أية حلول لقضية فلسطين، وانسحب الشقيري من مؤتمر القمة الذي أسقط (عدم الانفراد) .

وفي لقاءات عديدة حذر الشقيري قيادة المنظمة المتمثلة بشخص ياسر عرفات بأن تكون المنظمة أو أية قيادة فلسطينية الجسر الذي يعبر عليه العرب للصلح مع الدولة الصهيونية.. وأكد ذلك في لقاءاته ورسائله لأصدقائه يناشد القيادة الفلسطينية (ألا يفرطوا بأي شبر من وطننا المقدس... وكل تقريط واستسلام يقابله العدو بالمزيد من الأطماع والتوسع والعدوان) .

قاطع الشقيري مؤتمر القمة في الخرطوم، إذ رأى في قراراته ثغرات سينفذ منها المتنازلون للاعتراف بالدولة الصهيونية، وقد أدى ذلك بين أمور أخرى لمقاطعة الدول العربية له، وبعد ذلك بشهور استقال من قيادة المنظمة نهاية عام 1967، وانهقد المجلس الوطني الفلسطيني، الذي هيمنت عليه منظمة فتح لتغير الميثاق من ميثاق قومي (عربي) إلى ميثاق وطني(فلسطيني).. وهي خطوة لحقتها خطوات من التنازل انتهت بمأساة أوسلو، التي اعترفت للعدو (بحقه) في 78% من فلسطين، وحتى بهذا الاعتراف لم تحصل المنظمة على الـ 22% بل ستفاوض عليها وعلى قضايا القدس واللاجئين والحدود، وأصبحت الـ 22% المتبقية أراضٍ متنازعةً عليها بعد أن كانت أرضاً محتلة. كان هنالك باستمرار من يعد العمل الفدائي الفلسطيني توريطاً للأنظمة العربية في صراعها مع العدو الصهيوني، ولكن الذي حصل هو توريط للشعب الفلسطيني وتكبير لإرادته وتضييق على خياراته وذلك ما تمثّل في اتفاقيات أوسلو.

القضايا التاريخية الكبيرة والصراعات المصيرية لا تحلها اتفاقيات جزئية كاتفاقيات أوسلو... ولكن الشعوب دائماً تجد طريقها بالمقاومة والكفاح الطويل.

رحم الله الشقيري، ورحم شهداء أمتنا العربية خلال قرن من الصراع مع العدو الصهيوني والقوى الاستعمارية الراحية له. وعاشت فلسطين عربية حرة.

كلمة الختام

عبد العزيز السيد*

أيها الملتقى الكريم

أستأذنكم وقد استمعتم إليّ أقول في القائلين بعض الذي هم له أهل، أن أقول في الشقيري بعض الذي هو له أهل.. ولن أطيل.

لم ألتق الشقيري إلا لقاءات عابرة في محضر آخرين، إلا أنني عشت معه وأنا شاب في مطالع السبعينيات حوارات كثيرة وأثيرة، لكنها كانت على قرطاس فكره... فهو في كل ما كتب كان يحاور قراءه، كما كان يحاور من عنهم كتب... وهو في كل ما خطب كان يحاور سامعيه وقارئيه، كما كان يحاور من فيهم خطب.. ومن ذلك علمت وتعلمت، وأفدت مما تعلمت، شأن في ذلك شأن كل من قرأ عليه وتعلم. ثم عشت مع الشقيري بعد ثلاثة عقود وقد وخطّ الشيب مفرقي حولاً كاملاً حتى اليوم في قراءة معمقة شبه يومية... أنستُ فيها إلى ما قال في كتبه الأكثر من عشرين.

الزمان.. لم يعد الزمان، والناس لم يعودوا الناس، لكني وجدت الشقيري هو هو لم يتغير ولم يتبدل. الشقيري واحد من ثلاثة هم عناوين المراحل الثلاث في تاريخ القضية الفلسطينية: الحاج أمين الحسيني (مرحلة الانتداب)، أحمد الشقيري (مرحلة النكبة والشتات) ياسر عرفات (مرحلة الثورة منذ الرصاصة الأولى حتى عام الرحيل).

الحاج أمين الحسيني.. كان على ثرى أرضه... معه شرعية دينية وعشيرته وحزبه، والحجر في مكانه قنطار..

ياسر عرفات كان على أرض هي الثورة وفتح، تنظيم ممتد في كل فج عميق، والبنديفة يحملها أنى رُحّل أو رحل.

وحده أحمد الشقيري كشعبه كان أعزلاً، لملم شعبه من المخيمات والكهوف، والقرى والمدن... يحاصره في حركته المحاصرون بل والمحاصرون أيضاً، من ذوي القرى والأبعدين.. ولشد ما أحصوا عليه أنفاسه. انطلق يحمل همّ شعبه وقضيته على كتفين عاريتين... لا حزب ينجده، ولا تنظيم يسنده... عليه أن يتكلم بأربع عشرة صيغة، ينطلق هنا ويتلثم هناك، يجهر هنا ويهمس هناك.. يقابلونه بابتسامة صفراء أو عبيسة قمطرية، وعليه أن يكون من الكاظمين العافين، حتى أقام البنيان - منظمة التحرير الفلسطينية- على غير ما كانوا يأملون، فاستوى على سوقه يُعجب المواطنين ليغيظ بهم الأعداء.. هذا هو إنجاز الشقيري الخالد... وهذا تميزه الفريد وهذه عظمته النادرة... هذه هي حصيلة جهده وجهاده، لا ننتقص مما سواها ولا نُخفض شأنه.

* أمين عام المؤتمر العام للأحزاب العربية، المنسق العام للموسوعة الفلسطينية الميسرة.

بعد هذه السنين كيف هو الشقيري؟ كما قرأته... باختصار:

* هو هو.. المثقف في السياسيين.

السياسي في المفكرين.

والمناضل في الحاليين معاً.. وفي كل حين.

* هو هو.. اقترنت لديه السياسة بالأخلاق.. والشجاعة بالعقلانية.

* هو هو.. الصامد وسط الأعاصير، اليوم تتراجع حدة الإعصار.. وتتغض رؤوسها الناعبات الناعقات،

فقد بدا الذي كان يقوله حقاً صُراحاً أبلج، أما الذي كانوا يرجفون فهو باطل لجلج.

* هو هو الذي له في كل مقام مقال:

= لقد قال وقوله الحق: إن فلسطين بمقدساتها هي ملك للأمة العربية بكل أجيالها السالفة والصاعدة، هي

ملك التاريخ العربي، ولا يملك أي عربي أو فلسطيني أتى كانت مسؤوليته أن يتنازل عن شبر واحد من ترابها المقدس.

= لقد قال وقوله الحق: إن للأمة العربية في أقطارها المختلفة شكاوى كبرى.. ومن هذه الشكاوى:

فلاح بلا أرض .. وأرض بلا فلاح..

بضاعة بلا أسواق .. وأسواق بلا بضاعة..

زراعة بلا صناعة .. وصناعة بلا زراعة..

بترول، بلا قطن، ولا قمح .. وقطن بلا بترول..

شعب يغرق بالفيزان المدرار.. وشعب يشرب من تحلية البحار.

ماشية ترعى في الحظائر .. وماشية تملأ الفيافي والقفار..

عمل بلا عمال .. وعمال بلا عمل..

ومنها وإنه للأهم : المواد الذرية.. هنا.. والعقول الذرية هناك.. والأموال هنالك!!

كل هذه وغيرها من المشكلات لا حل لها إلا باتحاد الأقطار العربية... حتى المؤسسات القطرية ستكون أكثر ازدهاراً ونمواً في عهد الوحدة، مما عليه الآن في عهد الحدود والقيود، في عهد المخافر والحواجز.. في عهد الرؤساء والرياسات.

= لقد قال وقوله الحق : إذا ما بقيت هذه التجزئة في الوطن العربي فستنهال هذه الاستقلالات " القطرية "

التي يحرص عليها الرؤساء العرب، وستنهال معها الثروات " القطرية"، وخاصة البترولية منها.. فهي

لن تنفع القطر صاحبها، ولا الأمة العربية في مجموعها.

= لقد قال مستشهداً بتجربة الشعب الفيتنامي، كان الشعب الفيتنامي فقيراً في كل شيء، ولكنه يملك ثروة

روحية هائلة، كالأمة العربية، مع ميزة واحدة... قيادة مناضلة مجاهدة شجاعة صابرة صادقة... وعلى رأس

ذلك تؤمن بالوحدة القومية: " قد تجف الأنهار ولكن الوحدة لن تنفصم " كما كان يقول " هوشي منه " قائدهم

العجوز.

أيها الملتقى والمنتدى،

لا خير لنا يرتجى إن ظللنا عشرين علماً، كل علم بنجمةٍ واحدةٍ أو دون نجمة، أيها القوم، القول ما قال
الشقيري ... علم واحد وبه عشرون نجمة.
وبالشكر لكم وللمنتدى أختم الملتقى. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

م ج / آج